

دلائل الإعجاز

وإِذْ قَدْ عَرَفْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّ - مِنْ شَأْنِ الْجُمْلَةِ أَنْ يَصِيرَ مَعْنَاهَا بِالْبِنَاءِ عَلَيْهَا شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي كَانَ وَأَنَّهُ يَتَغَيَّرُ فِي ذَاتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ مَا كَانَ مِنَ الشَّيْءِ عَرَّ مِثْلَ بَيْتِ بَشَارٍ - الطويل - : .

(كَأَنَّ - مُثَارَ الذِّقِّعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ... وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ) .
وقول امرء القيس - الطويل - : .

(كَأَنَّ - قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا ... لَدَى وَكَرَّهَا الْعُنْدَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي) .

وقول زياد - الطويل - : .

(وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا ... لِكَالْبَحْرِ مَهْمًا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ) .

كان له مزية على قول الفرزدق فيما ذكرنا لأنك تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى وإن لم يكن معنى يصح أن يقال : " إنه معنى فلان " . ولا تجد في صدر هذه الأبيات ما يصح أن يعد جملة تؤدي معنى فضلاً عن أن تؤدي معنى يقال إنه معنى فلان . ذاك لأن قوله : " كَأَنَّ - مُثَارَ النِّعِ . . إلى : وَأَسْيَافُنَا " جزء واحد و " لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ " بجملة الجزء الذي ما لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام وهكذا سبيل البيت الأخير . فقله : " كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكَرَّهَا " جزء وقوله : " الْعُنْدَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي " الجزء الثاني . وقوله : .

(وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا ...) .

جزء وقوله : " لِكَالْبَحْرِ " الجزء الثاني . وقوله : " مَهْمًا تُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ " وإن كان جملة مستأنفة ليس لها في الظاهر تعلق بقوله : " لِكَالْبَحْرِ " فإنها لما كانت مبينة لحال هذا التشبيه صارت كأنها متعلقة بهذا التشبيه وجرى مجرى أن تقول : " لِكَالْبَحْرِ فِي أَنَّهُ لَا يُلْقَى فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا غَرَقَ " .